الدرس العشرون

دانيال

تركيب السفر

خلفيّة السفر

دانيال هو أحد أكثر أسفار العهد القديم فرادة. وهو يحتوي على عدّة أحلام ورؤى غريبة. يبدأ السفر عام 605ق م بعد أول غزو قام به الملك البابلي نبوخذنصّر ليهوذا. وفي ذلك الوقت أُخذ العديد من شباب يهوذا (خاصة من طبقة الأشراف والطبقة الأرستقراطية) إلى بابل لكي تتم تهيئتها لخدمة الملك البابلي. وكان دانيال أحد هؤلاء الشباب. ويخبرنا الكتاب المقدس كيف أنه أصبح أحد أعلى المسؤولين في المملكة البابلية. وقد امتد به العمر ليشهد سقوط بابل على يد المادين والفارسيين عام 539ق م. وظل يحتفظ بمركز ذي نفوذ حتى بعد تغير الحكم. وكان أحد أسباب رفعة مكانة دانيال في البلاط الملكي البابلي قدرته المعطاة من الله على تفسير الأحلام، مع أنه أظهر في نفس الوقت أنه إداري كفؤ وحكيم ونزيه.

فرادة لغة السفر

إن إحدى السمات المميزة لسفر دانيال هي أنه كُتِبَ في لغتين، حيث كُتب جزء منه باللغة الآرامية وجزء آخر بالعبرية. والجزء الآرامي منه هو دانيال 2: 4–7: 28. ويوجد في واقع الأمر انسجامٌ بين اللغتين المستخدمتين وتركيب مواضيع السفر.

الترتيب التركيبي الرئيسي للسفر

الخلفية	التركيز على شعوب العالم الأممية	التركيز على أمة إسرائيل
الأصحاح الأول	الأصحاحات 2–7	الأصحاحات 8–12
عبري	آرامي	عبري

كانت اللغة الآرامية في زمن دانيال لغة الاتصال العالمية (*lingua franca*) في زمن دانيال. فكانت تستخدم كوسيط في الاتصالات الدولية في أيام الآشوريين والبابليين والفارسيين. وتركّز الأصحاحات 2–7 على ممالك الأمم، وهي لهذا مدوَّنة في لغتهم الممثّلة لهم. أمّا الأصحاحات 1 و8–12 فتتعلّق بإسرائيل، وهي لهذا مدوَّنة باللغة العبرية. ويرتبط هذا بشكل مباشر بلاهوت السفر.

ولكي نقدّر التركيب اللغوي والأدبي للسفر، فإنه يتوجب علينا أن ننظر إليه من حيث علاقته بلاهوت السفر. وقد كتب سفر دانيال، مثله في ذلك مثل إرميا وحزقيال، أثناء فترة السبي البابلي. وكان كل الأنبياء الذين كتبوا أثناء تلك الفترة قلقين حول وضع الأمة العهدي. فما هي تضمينات سماح الله للبابليين بأن يدمّروا أورشليم والهيكل؟ وهل انتهى برنامجه العهدي مع إسرائيل؟ لقد أوضح أنبياء كإرميا وحزقيال أن برنامج عهد الله مع إسرائيل لم ينتهِ بعد. فبعد أن بيّنوا أن يهوذا كانت تستحق العقاب الذي أنزله بها الله بسبب عدم وفائها، كان من عادتهم أن يكشفوا لمحات من مستقبل الأمة البعيد حين يردها الله ويباركها مرة أخرى في نهاية المطاف. وكان من الطبيعي أن تركّز هذه اللمحات النبوّية (إعلانات الخلاص الإلهية) على المسيّا، إذ ستُرد الأمة وتبارك في نهاية المطاف من خلاله. والسمة الفريدة لسفر دانيال هي أنه يوضح مستقبل إسرائيل في علاقتها بالشعوب الأممية. إذ يبين أن الله سيؤسس ملكوته في نهاية الأمر تحت حكم المسيّا. لكن إسرائيل سيبقى إلى ذلك الحين خانعاً لقوى الأمم. فالغرض من دانيال 2–7 إذاً هو تسليط الأضواء على أمم العالم، وكشف دورها وطبيعتها الأخلاقية وتعاقبها قبل حلول ملكوت المسيّا. وإن القصد الإلهي هو أن تمارس هذه الأمم حق السيادة على العالم إلى أن يشاء الله تأسيس الملكوت المسيّاني. غير أن دانيال 8–12 تركز على إسرائيل، مبينة علاقتها بالهيمنة الأممية ومستقبلها في خطة الله. [انظر الجدول الملحق حول سفر دانيال].

ومن هنا فإن غرض سفر دانيال هو ترسيخ حقيقة سيطرة الله وتسيّده على الأمم التي تؤدّب إسرائيل، والتوكيد على أن أمة إسرائيل ستُرد وتبارك في نهاية الأمر في ملكوت المسيّا بعد أن تكون قد مرّت أولاً بضيقة ومعاناة على يد ضدّ المسيح.

الأصحاحات 2–7

تُشكل الأصحاحات 2–7 وحدة أدبية، وليس هذا بسبب القاعدة اللغوية المشتركة بينها (الآرامية) فحسب، لكن أيضاً بسبب تركيب هذه الأصحاحات من حيث الموضوع [انظر الجدول تحت عنوان "التركيب الأدبي لدانيال 2–7"]. تتناول هذه الأصحاحات مجتمعة مسألة الإمبراطوريات الأممية، لأن يهوذا جعلت في زمن دانيال أرضاً تابعة للإمبراطورية البابلية، وانتُزعت منها سيادتها بشكل كامل. ومن هنا فإن هذه الأصحاحات تركّز على خضوع الأمة لقوى الأمم. وهي توضح بشكل رئيسي أن مستقبل الأمة مضمون مع الله. فالله مازال مسيطراً ومتسيداً على التاريخ، وقد قرر أن يتوّج التاريخ بملكوت يحكمه المسيّا (دانيال 2: 44–45؛ 7: 13–14). غير أن

إسرائيل ستظل حتى ذلك الحين خاضعة لقوى الأمم، حتى إن هذه الأصحاحات تكشف بصورة نبوية هوية تلك القوى. ستكون القوى الأولى هي بابل، ثمّ فارس ثم اليونان ثمّ روما. وسيتشكل في نهاية الأمر من الإمبراطورية الرومانية اتحاد أمم سيهيمن عليه شخص يدعى "القرن الصغير" (7: 23–25).

وتنتمي الإمبراطوريات الأربع الأولى إلى التاريخ الماضي، بينما لن يظهر "اتحاد الأمم العشر" و"القرن الصغير" (=ضدّ المسيح) إلاّ في نهاية العصر (أي قبل وقت قصير من المجيء الثاني للمسيح). وهذا واضح من طريقة تصوير هذه الشخصيات في سفر الرؤيا.

من الواضح إذاً أن هذه الأصحاحات لا تصوّر كل قوة أممية ستكون إسرائيل خاضعة لها. إذ يذكر دانيال الإمبراطوريات الأربع الأولى (التي تمتد إلى زمن المجيء الأول ليسوع المسيح)، لكن توجد بعد ذلك ثغرة واضحة حتى نهاية الأزمنة الأخروية للضيقة العظيمة والمجيء الثاني. وسبب هذا هو أنه بعد حكم روما ليهوذا، لا توجد إمبراطورية واحدة تحكم إسرائيل حتى تجيء إمبراطورية ضدّ المسيح العالمية. لم يشهد العالم، منذ الإمبراطورية الرومانية، أية إمبراطورية واحدة قامت لتحكم العالم كلّه. وفضلاً عن ذلك، ومنذ أيام الإمبراطورية الرومانية، لم تكن إسرائيل حتى أمّة في أرضها. فبعد تمرّد باركوخبا عام 135ق م، تشتّت شعب إسرائيل في كل مكان في العالم، وخضع للأمم حيثما ذهب. وحتى في يومنا هذا، لم يعد معظم اليهود إلى الأرض التي كانت تسمى أرض إسرائيل.

كما يوجد للأصحاحات 2–7 غرض آخر غير الكشف عن مسار إسرائيل المستقبلي والممالك الأممية. فعلى الرغم من أن الممالك الأممية ستهيمن على شعب عهد الله، فإن إله إسرائيل ما يزال الأعلى، ويجب أن يعبده الجميع. ويجب أن يتعلم هذا الجميع بمن فيهم الأمم! ومن هنا يتناول الأصحاح الثالث موضوع عبادة الأوثان. ويتيح رفض عبادة صورة الوثن الذهبي الفرصة للرب *للتعليق* على عبادة الأوثان وإعلان هوية الإله الحقيقي. إذ يهاجم الأصحاح الرابع (الذي يتحدّث عن حلم نبوخذنصّر بشجرة عظيمة) الكبرياء البشرية وتكشف إرادة من هي العليا. ويبين الأصحاح الخامس (مأدبة بلشاصر عند سقوط بابل) حماقة غطرسة الإنسان، ويكشف قوة من هي التي يجب أن يُحسب لها حساب. ويثبت الأصحاح السادس (دانيال في جبّ الأسد) أن إله دانيال، يهوه إيلوهيم، هو وحده المستحق لعبادة الإنسان.

الأصحاحات 8–12

على الرغم من أن أمّة إسرائيل ستتحرر في نهاية الأمر من هيمنة الممالك الأممية وتدخل في ملكوت المسيح، فإن جزءً كبيراً من تاريخها سيتسم بالاضطراب والمعاناة على أيدي الأمم. ويتتبّع الأصحاح الحادي عشر التاريخ السياسي من زمن الإمبراطورية الفارسية (حيث

تنتهي حياة دانيال) عبر الفترة الهلّينية (الإغريقية) إلى زمن أنطيوخوس أبيفانوس الرابع (حكم ما بين 175–164ق م). ويصبح هذا القائد السوري موضوع جزء كبير من مادّة سفر دانيال. فهو يصوّر في دانيال 8 على أنه "القرن الصغير"، ويصوّر مرة أخرى بشكل أكثر مباشرة في دانيال 11: 21–35. وإن سبب هذا التركيز الكبير على أنطيوخوس أبيفانوس هو أنه يستخدمه كنموذج لضدّ المسيح الذي سيقوم في الأيام الأخيرة من تاريخ إسرائيل. كان الجزء الأول من السفر قد انتهى بالكشف عن أن ضدّ المسيح (المسمّى هناك بـ "القرن الصغير") سيبرز قبل أيام ملكوت المسيّا، وسيضطهد الشعب اليهودي (7: 21–22) وفي النصف الثاني من السفر، يتناوله دانيال بشكل مطوّل، أولاً بكشف نموذجه في التاريخ (أي أنطيوخوس)، وثانياً بالإعلان المباشر في دانيال 11: 36–45.

وفي وسط هذا القسم الأخير (8–12) بكل تركيزه الكئيب على ضدّ المسيح وعلى سابقه أنطيوخوس أبيفانوس، نُعطى إعلاناً بديعاً عن زمن مجيء المسيّا (انظر دانيال 9: 24–27). وهذا يعني أن لله برنامجاً زمنياً محدداً، وأن المسيّا سيأتي في الوقت المناسب لينجز كلّ مقاصد الله في التاريخ.

تفسير حلم نبوخذنصّر (2: 31–49)

يمكن تقسيم هذا الجزء إلى ثلاثة أجزاء

ذكر الحلم	تفسير الحلم		استجابة نبوخذنصّر
تمثال الإنسان يحطّمه حجر	ممالك الأمم	انتصار المسيّا والملكوت	تقديره ليهوه فوق الآلهة البابلية
2: 31–35	2: 36–43	2: 44–45	2: 46–49

يتضمن الحلم تمثال إنسان يتكون من معادن متنوعة وخزف، وتمثّل أجزاء هذا التمثال الممالك الأممية المتنوعة. ولنتذكر أنه يجب أن نحرص على عدم الابتعاد عن التفسير الحرفي (أي التفسير الواضح أمامنا) إلاّ إذا كان هنالك سبب وجيه لذلك. وفي هذه الحالة يُراد لنا أن نفهم المثال *بصورة رمزية*، لأن النص نفسه يكشف المعنى الرمزي (انظر 2: 37)، إذ يكشف دانيال أن الرأس الذهبي يرمز إلى مملكة بابل وملكها الأول، نبوخذنصّر. والهدف من الرؤيا هو أن تمثّل (وتكشف) القوى الأممية التي ستهيمن على إسرائيل إلى أن يردّها المسيّا. وهذه الفترة معروفة في الكتاب المقدس باسم "أزمنة الأمم" (انظر لوقا 21: 24). وبالإضافة إلى أن النص يخبرنا أن للرؤيا معنى رمزياً،

فإنه يعلمنا أيضاً أن التمثال يمثّل تعاقُب إمبراطوريات عالمية (لاحظ 2: 39–"وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك"). ومن هنا يكون تفسير العناصر الأساسية للرؤيا كما يلي:

رأس من ذهب جيد	بابل
صدر وذراعان من فضة	مادي–فارس
بطن وفخذان من نحاس	اليونان
ساقان من حديد	روما

يوافق المفسرون المحافظون، بغض النظر عن موقفهم من الحكم الألفي، على هذا التفسير بشكل عام. غير أن الباحثين من أصحاب النظرة النقدية ينظرون إلى مادي وفارس كمملكتين منفصلتين، وهم بهذا يجعلون اليونان المملكة الرابعة والأخيرة. وسبب قولهم هذا هو أنهم يريدون تجنّب وجود الإمبراطورية الرومانية في الخطة. وهم عادة ما يُرجعون سفر دانيال إلى القرن الثاني ق م بدلاً من القرن السادس قبل الميلاد وهو ما يفعله الإنجيليون المحافظون. أمّا بالنسبة للباحثين النقديين، فإن سفر دانيال ليس سفراً نبوياً على الإطلاق، بل يرون أنه سجل كتب بعد حدوث الوقائع. ولأنهم غير قادرين على إرجاع السفر إلى قبل تاريخ القرن الثاني ق م، فإن من شأن اعترافهم بوجود روما في النبوة أن يثبت نبوّية السفر. إذ لم تبرز روما كإمبراطورية عالمية لتحل محل الإمبراطورية الهلّينية إلاّ في القرن الأول قبل الميلاد.[1] غير أن في هذا الموقف النقدي عيوباً خطيرة: (1) تصرّح دانيال 5: 28 أن إمبراطورية مادي–فارس ستتبع إمبراطورية بابل؛ (2) تعلن دانيال 8: 3، 20–21 أن إمبراطورية مادي–فارس التي يُرمز لها بكبش ذي قرنين ستسبق الإمبراطورية اليونانية.

لكنّ التفسير لا ينتهي بتحديد هوية المملكة الرابعة كروما (التي تمثّلها الساقان الحديديتان). إذ يقول النصّ عن التمثال: "قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف" (2: 33). فهل هذا مجرد إسهاب في الحديث عن روما، أم أنه يتحدث هنا عن مملكة أخرى تتبع الإمبراطورية الرومانية؟ إن هذا السؤال هام في ضوء دانيال 2: 44:

[1] لا يُرجع الباحثون النقديون سفر دانيال إلى أبعد من 165 ق م في ضوء تفسيرهم لدانيال 11: 45. وهم يخطئون في تفسيرهم لدانيال 11: 45 كإشارة إلى موت أنطيوخوس أبيفانوس. إذ أن أنطيوخوس لم يمت بالطريقة التي يصفها دانيال 11: 45. وهم يستنتجون من هذا أن كاتب السفر كتبه قبل زمن موت أنطيوخوس (أي يفترضون أن الكاتب ظنّ أن أنطيوخوس سيموت بهذه الطريقة). أمّا أنا فأفهم دانيال 11: 45 كإشارة إلى موت ضدّ المسيح، لا موت أنطيوخوس.

"وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، وملِكها (وتلك المملكة) لن يترك لشعب آخرٍ، وتسحق وتفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد ."

يتفق المفسرون المحافظون بشكل عام على أن المملكة في 2: 44 (التي لن تدمر أبداً) تشير إلى ملكوت المسيّا . وبما أنه يقال هنا إن *هذه المملكة* ستأتي "في أيام هؤلاء الملوك"، فإن كيفية فهمنا للرمز المتضمن في عبارة "قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف" هام جداً فيما يتعلق بتوقيت ملكوت المسيّا . فإذا رأينا أن "الساقين" تمثّلان نفس الإمبراطورية الرومانية القديمة، فإن دانيال 2: 44 تقول عندئذٍ إن ملكوت المسيّا سيتحقق في أيام الإمبراطورية الرومانية. وهذا يعني أن المملكة المسيّانية قد بدأت منذ زمن بعيد . ويعبّر هذا عن الموقف الذي يساوي ما بين الملكوت المسيّاني وبين الكنيسة (وهو ملكوت موجود "الآن")، وهم بهذا لا يؤمنون بالحكم الألفي للمسيح بعد الضيقة العظمى. وعلى هذا فإن موقفهم مناقض للفكر ما قبل الألفي الذي يعتبر الملكوت شيئاً مستقبلياً يتبع المجيء الثاني للمسيح.
غير أن موقفهم هذا يعاني من عدة عيوب أو مشاكل: (1) يقول دانيال إن مملكة المسيّا سوف "تسحق وتفني كل هذه الممالك،" لكن هذا الأمر لم يحدث في حالة الإمبراطورية الرومانية القديمة. فقد أنشئت *الكنيسة* في فترة مبكرة من حكم روما (33ق م)، لكن الكنيسة لم تضع نهاية للإمبراطورية الرومانية. بل إن الإمبراطورية الرومانية استمرت حتى زمن متقدم من القرن الميلادي الخامس، وقد تبعتها ممالك أممية أخرى. (2) ينص دانيال 2: 44 على أن ملكوت المسيّا سيأتي "في أيام هؤلاء الملوك" (بصيغة الجمع!)، وهذا يتضمن أن الشكل النهائي للحكم الأممي لابد أن يكون تحالفاً، لا مجرد ملك واحد أو قيصر واحد (قارن 7: 23–24) . (3) يوحي التحديد بأن القدمين "بعضهما من حديد والبعض من خزف" تمييزاً عن الإمبراطورية الرومانية المتمثلة بساقين من حديد . وبما أن بعض من القدمين من الحديد، فإن هنالك على الأرجح بعض الصلة بالإمبراطورية الرومانية.

وكما سنرى من دراستنا لدانيال 7، فإن حلم نبوخذنصّر في الأصحاح الثاني ورؤيا دانيال في الأصحاح السابع يشكلان إعلانين متوازيين من الله. إذ يتتبع كل منهما مسار القوى الأممية السابقة لملكوت المسيّا . غير أننا نجد في الأصحاح السابع نوعاً من التحالف بين عشر أمم تخرج من المملكة الرابعة (انظر 7: 23–24) . وبما أن سفر الرؤيا يفسّر هذا الاتحاد المكون من عشر أمم كتطوّر يحدث في الضيقة العظمى (انظر رؤيا 17: 12)، فإن هذا يوحي بأن المرحلة النهائية للقوى الأممية في كل من دانيال 2 ودانيال 7 تمثّل اتحاداً سيتطوَّر في الضيقة العظمى. وبما أن جزءاً من القدمين "من حديد"، فإنه توجد على الأرجح صلة بين اتحاد الأمم العشر والإمبراطورية الرومانية القديمة (تقول دانيال 7: 24 إن الاتحاد سيخرج من الوحش الرابع، أي الإمبراطورية الرومانية) .

ومع أن دانيال 2 لا يقول شيئاً عن تشكيل الاتحاد من عشر أمم، إلاّ أن قوله إنه سيكون للقدمين 10 أصابع يدفع بالتفسير إلى هذا الاتجاه. فبما أنه لم يخرج من الإمبراطورية الرومانية القديمة اتحاد من عشرة شعوب يمكن أن تنطبق أوصافه بشكل مرضٍ على تفاصيل دانيال، وبما أن سفر الرؤيا يفسّر اتحاد الأمم العشر في دانيال 7 على أنه ينتمي إلى فترة الضيقة العظمى، فإن أفضل تفسير لدانيال 2: 41-43 هو أن نقول إنه يتحدث عن اتحاد مستقبلي سيقوم في فترة الضيقة العظمى، وستكون له صلة بالإمبراطورية الرومانية القديمة. ويوحي هذا بوجود *ثغرة زمنية* كبيرة متضمنة في الإمبراطوريات المتعاقبة. كما توحي بأن ملكوت المسيّا لم يتأسس بعد (بشكله النهائي والكامل على الأقل)، ولهذا لا يجب أن يفهم على أنه مساوٍ لتأسيس *الكنيسة*. فملكوت المسيح ينتظر أيام هذا الاتحاد المستقبلي من عشر أمم. وسيقوم المسيّا نفسه بالقضاء على الحكم الأممي وتأسيس ملكوته الخاص ليكون البديل الكامل له. لنتذكر أن مملكة المسيّا ستكون مملكة سلام (فلا حروب بعد !). ومن هنا فإن التفسير الرمزي القائل بأن ملكوت المسيّا هو الكنيسة لا يمكن أن يفسر التفاصيل الكتابية تفسيراً وافياً (انظر إشعياء 2: 1-4).

درس لحياتنا

كيف تتصرف حين تصلك أخبار مزعجة؟ هل تتذمر وتشكو؟ هل تلوم الله على الظروف؟ تلقى دانيال خبراً سيئاً وهو أن حياته ستؤخذ مع *حكماء* بابل، لأن أحداً لم يستطع أن يفسر حلم الملك (2: 13). لكن لاحظ النضج والحكمة اللذين تعامل بهما مع الموقف: "حينئذ مضى دانيال إلى بيته وأعلم ... أصحابه بالأمر، ليطلبوا المراحم من قبل إله السماوات من جهة هذا السر." لم يذهب دانيال إلى بيت أصحابه ليبكوا أحدهم على كتف الآخر. بل ذهب إلى بيته **بغرض** الصلاة معاً. لقد عالجوا الأزمة بالتوجه مباشرة إلى الله بالصلاة. وغالباً ما يسمح الله بدخول التجارب إلى حياتنا لمجرد أن يعرف كيف سيكون ردّ فعلنا. فهل تعلّمنا الدرس الذي يريدنا الله أن نتعلمه، ألا وهو أن نتعامل مع التجارب بالاجتماع مع اخوتنا المؤمنين لنصلي ونطلب من الله أن يتدخّل بنعمته؟ لاحظ أن الله لم يخذل دانيال وأصدقاءه. صلّوا... فاستجاب. ونتيجةً لذلك تقوّى إيمانهم.